رسالة الانوار

فيما يفتح لصاحب الخلوة من الأسرار

للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى

التراث الصوفى يشكل جانبا ضخما من جوانب الثقافه الإسلاميه وهذا التراث الخالد لا يزال الجانب الأكبر منه مخطوطا موزعا فى المكتبات العالمية .

إنها رسالة علينا ، أن نعمل جميعا لإبراز هذا التراث الذى تمثلت فيه أكبر القوى الروحيه العالمية ، والذى أضاء للأمة الإسلامية خطواتها الصاعدة فى طريق القوة ، وفى طريق سيرها المضىء إلى الله .

ونحن نقدم هنا لأول مرة ، أثرا مخطوطا من آثار الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى ، يتحدث فيه عن رحلة الإنسان إلى الله ، وما فى هذه الرحلة من ذوق وأسرار ، ومعرفة وأنوار .

يقول محى الدين ، بعد الحمد والتسبيح :

« ... أجبت سؤالك أيها الولى الكريم ، والصفى الحميم ، فى كيفية السلوك إلى رب العزة ، والوصول إلى حضرته ، والرجوع به من عنده إلى خلقه ، من غير مفارقة ، فانه ما ثم فى الوجود إلا الله ، انفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، والكل هو وبه ومنه وإليه ، ولو احتجب عن العالم طرفة عين لفنى العالم دفعة واحدة .

فأول ما أبينه لك ، وفقك الله ، كيفية السلوك إلى الله ، ثم كيفية الوصول والوقوف بين يديه فى بساط مشاهدته ، وما يقولى لك ، وكيفية الرجوع من عنده إلى حضرة أفعاله ، به وإليه . والاستهلاك فيه ، وهو مقام دون الرجوع ، فاعلم أيها الاخ الكريم : أن الطرق شتى . والطريق إلى الحق صعبة . والسالكين طريق الحق أفراد ، ومع أن طريق الحق واحدة ، فإنه تختلف وجوهه بحسب اختلاف أحوال سالكيه ، من اعتدال المزاج وانحرافه ، وملازمه الباعث ومبعثه وقوة روحانيته وضعفها ، واستقامة بقيته وميلها ، وصحة توجهه وسقمه ، فمنهم من يجتمع له هذه المعانى ، ومنهم

من تكون له بعض هذه الأوصاف ، فقد يكون مطلب الروحانية شريفا ولا يساعده المزاج ، وكذلك ما بقى من الصفات .

فاول ما تعين علينا أن نبينه لك ، معرفة المواطن كما هى وما تقتضى مما أريد منها ههنا ، والمواطن عبارة عن محل أوقات الموارد ، الذى يكون فيه ، وينبغى أن تعرف ما يريده الحق منك فى ذلك المواطن فتبادر إليه من غير ابطاء ولا كلفة ، والمواطن وإن كثرت فإنها ترجع إلى ستة

الأول : موطن — ألست بربكم ، وقد انفصلنا عنه .

والثانى : موطن — الدنيا الذى نحن فيها .

والثالث : موطن — البرزخ الذى نصير إليه بعد الموت الاصغر والأكبر .

والرابع : موطن — الحشر بأرض الساهرة والمرد فى الحافرة .

والخامس: موطن — الجنة والنار .

والسادس : موطن — الكتب خارج الجنة .

فلكل موطن من هذه المواطن مواضع بين مواطن : ليس فى القدرة البشرية الوفاء بها لكثرتها ، ولسنا نحتاج فى هذا إلا موطن الدنيا ، الذى هو محل التكليف والأعمال .

فاعلم أن الناس منذ خلقهم الله وأخرجهم من العدم إلى الوجود لم يزالوا مسافرين وليس لهم حط عن رحالهم إلا فى الجنة أو النار وكل جنة ونار بحسب أهلها ، فالواجب على كل عاقل ن يعلم أن السفر مبنى على المشقة وشظف العيش والمحن والبلايا مع ركوب الأخطار والأهوال العظام فمن المحال أن يصح فيه نعيم أو أمان أو لذة ، فإن الهيئة مختلفة الطعم والأهوية مختلفة التصريف وطبع كل مهلة يخالف طبع المهلة الأخرى فيحتاج المسافر لما يصلح لتلقى كل عالم فى منزله . فإنه عندهم صاحب ليلة أو ساعة ثم ينصرف ، فإن تعقل الراحة فما هذه راحته

وقد أردنا بهذا تنبيه من استعجل لذة المشاهدة فى غير موطنها الثابت ، وحالة الفناء فى غير منزلها .

فإذ فهمت هذا فاعلم وفقك الله أنك إذا أردت الدخول على حضرة الحق والأخذ منه بترك الوسايط والأنس به ، إنه لا يصح لك ذلك وفى قلبك ربانية لغيره ، فإنك لمن حكم عليك سلطانه .

وأول ما يجب عليك طلب العـــلم تقيم طهارتك به وصلاتك وصيامك

وتقواك وما يعرض عليك طلبه خاصة ، وهو أول باب السلوك ، ثم العمل ، ثم الزهد ، ثم التوكل ، وفى أول حال من أحوال التوكل يحصل لك أربع كرامات ، وهى علامات وأدلة على حصولك فى أول درجة التوكل .

وهى طى الأرض ، والمشى على الماء ، واختراق الهواء ، والأكل من الكون ، وهو الحقيقة فى هذا الباب .

ثم بعد ذلك تتوالى المقامات والأحوال والكرامات والنزلات عن الموت ، فالله الله لا تدخل خلوتك حتى تعرف أين مقامك وقوتك من سلطان الوهم ، فان كان وهمك حاكما عليك فلا سبيل إلى الخلوة إلا على يد شيخ عارف ، وإن كان وهمك تحت سلطانك فادخل الخلوة ولا تبالى .

وعليك بالرياضة قبل الخلوة ، والرياضة عبارة عن تهذيب الأخلاق وترك الرعونة وتحمل الأذى فإن الانسان إذا تقدم وفتحة قبل رياضته فلن يجىء منه رجل أصلا . إلا فى حكم النادر .

ثم اشتغل بذكر الله تعالى بأى نوع شئت من الاذكار وأعلاها الاسم الاعظم وهو قولك : الله الله : لا تزيد عليه شيئا وتحفظ من طوارق الخيالات الفاسدة أن تشغلك عن الذكر وتحفظ فى غذائك وجهدك أن يكون دسما . واحذر من الشبع ومن الجوع المفرط . والزام طريق اعتدال المزاج .

وتفرق بين الواردات الروحانية الملكية . والواردات الروحانية النارية الشيطانية بما تجده فى نفسك عند انقضاء الواردات ، وذلك أن الوارد إذا كان ملكيا فإنه يعقبه برد ولذة . ولا تجد له ألما ولا تتغير لك صورة ويترك عليك . وإن كان الوارد شيطانيا فإنه يعقبه — تدقدق — فى الأعضاء . وألم وكرب وحيرة وزله . ويترك تخبيطا . فتحفظ ولا تزال ذاكرا حتى يزيحه الله عن قلبك وهو المطلوب .

ولا تعلق همتك فى خلوتك بغيره ولو عرض عليك كل ما فى الكون فخذه بأدب ولا تقف عنده . ومهما وقفت مع شئ فاتك وإذا حصلته يفتك شيئا !؟ فإذ قد عرفت هذا فاعلم أن الله تعالى مبتليك بما يعرضه عليك بأول مايفتح لك أن يعطيك الأمر على الترتيب كما أول لك وهو كشفك عالم الشئ الغائب عنه فلا تحجبك الجدران ولا الظلمات عما يفعله الخلق فى بيوتهم . إلا انه يجب عليك ان لا تكشف ستر احد عند احد إذا أطلعك الله عليه ، إذا بحت به وقلت : هذا زان ؟ وهذا شارب

وهذا يغتاب ؟ فاتهم نفسك فإن الشيطان قد دخل عليك فتحفظ بالاسم الستار .

وأما التفرقة بين الكشف الحسى والخيالى ، فنبينه ، وذلك إذا رأيت صورة شخص أو فعلا من أفعال الخلق أن تغلق عينيك فإن بقى لك الكشف فهو فى خيالك ، وإن غاب عنك فإن الادراك تعلق به فى الموضع الذى رأيته فيه .

وإذا الهيت عنه واشتغلت بالذكر انتقلت من الكشف الحسى إلى الكشف الخيالى فتنزل عليك المعانى العقلية فى الصور الحسية وهو تنزل صعب ، فإن علمت ما أريد بتلك الصورة فقد نلت ملكا عظيما فإنه لايعرفها إلا نبي أو من شاء الله من الصديقين .